القيم التربوية في مسرح الطفل

(مسرحية بائعة الكبريت نموذجًا)

إعداد

د. شوق عباده أحمد النكلاوي

مدرس أدب الطفل– قسم العلم الأساسية

كلية التربية للطفولة المبكرة – جامعة مطروح

shawkfaresfares@yahoo.com

مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية

معرف البحث الرقمي DOI: 10.21608/jedu.2020.45237.1086

المجلد السادس العدد 26 . يناير 2020

الترقيم الدولي

P-ISSN: 1687-3424 E- ISSN: 2735-3346

موقع المجلة عبر بنك المعرفة المصري https://jedu.journals.ekb.eg/

موقع المجلة http://jrfse.minia.edu.eg/Hom

العنوان: كلية التربية النوعية . جامعة المنيا . جمهورية مصر العربية

القيم التربوية في مسرح الطفل
(مسرحية بائعة الكبريت نموذجًا)

د. شوق عباده أحمد النكلاوي

ملخص البحث

تكمن أهمية البحث في تعرضه للقيم التربوية والخلقية وتوظيفها في مسرح الطفل؛ لما لها من دور مهم في تكوين شخصيته، وقدرةٍ على توصيل الرسالة؛ ليتعايش مع حاضره ويستعد لمستقبله ويصبح فردًا فاعلًا في محيطه الاجتماعي والثقافي، قادرًا على التواصل الإيجابي المثمر.

وتعرض البحث للقيم التربوية وتوظيفها في مسرح الطفل، كما أظهر عدم إغفال مؤلفي المسرح الموجه للطفل ومخرجيه غرس القيم التربوية والاجتماعية والتثقيفية لتحقيق أهداف ذلك المسرح وغاياته النبيلة ، كما بتناول البحث أهمية الانتباه لمدى خطورة الكلمة الموظفة في مسرح الطفل؛ انطلاقًا من الإيمان بقوة تأثيرها في عملية التنشئة الاجتماعية والتربوية للطفل، كما يتناول الدور الذي يمكن أن يلعبه العرض المسرحي متمثلًا في لغات خشبة المسرح سمعية وبصرية في التعبير عن تلك القيم .وقد وقع اختيار الدراسة على مسرحية (بائعة الكبريت) للمخرج المؤلف التونسي (حاتم مرعوب) التي اهتم فيها بإعلاء تلك القيم؛ لتحقيق أهداف التنشئة الاجتماعية، و الجمع بين فنون متنوعة سمعية وبصرية فى عرض مسرحي واحد لإبراز ما تضمنه من قيم تربوية، وقد استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لطبيعة الدراسة.

الكلمات الرئيسية: القيم التربوية، مسرح الطفل ، بائعة الكبريت

Educational values in the Child Theater (The Match Woman is a model)

Abstract

The importance of the research lies in its exposure to educational and moral values and their application in children's theater. Because of its important role in the formation of his personality, and the ability to convey the message; To coexist with his present and prepare for his future and to become an active individual in his social and cultural milieu, capable of positive and fruitful communication. The research presented the educational values and their use in the child's theater, as well as the authors and directors of child-directed theater not forgetting to inculcate educational, social and educational values to achieve the goals of that theater and its noble forests. The research also deals with the importance of paying attention to the seriousness of the word employed in a child's theater. Based on the belief in the power of its influence on the process of the social and educational upbringing of the child, it also deals with the role that the theatrical performance can play in the form of languages.

Key Words: Educational values, children's theater, matchwoman

المقدمة

تعد مرحلة الطفولة من المراحل المهمة التي تنمو فيها شخصية الفرد وتتطور، ذلك أن تزويد الأطفال بالخبرات والمهارات والمعتقدات منذ الصغر، يلعب دورًا فاعلًا في ترسيخ القيم التربوية والأخلاقية، كما أن تكريس ثقافة الطفل عبر الفنون الأدبية والأدائية كافة ضرورة إذا أردنا لجيل المستقبل وعيًا عميقًا بذاته ومجتمعه ووطنه وهويته، وتجربة واسعة، وإدراكًا حضاريًا في مستوى حضارة القرن الحادي والعشرين.

ولما كانت الكتابة للطفل تتطلب الحذر والتمكن والقدرة؛ لخصوصيتها، فإن كاتب أدب الطفل –لاسيما المسرح– يقف أمام مسؤوليات أخلاقية واجتماعية ووطنية جسام لبناء الطفل بناءً معرفيًا وذوقيًا سليمًا قادرًا على أن يتجاوز به كل التحديات التي تواجه ثقافته وهويته وذاتيته التي يمكن أن تذوب وتتماهي في غيرها من الثقافات إن لم نكن حذرين في عملية الغرس الثقافي والقيمي حتى تحقق عملية التربية هدفها المنشود.

ويعد المسرح وسيطًا مهمًا من وسائط الاتصال الجماهيري؛ حيث يلعب دورًا كبيرًا في تكوين شخصية الطفل وميوله وقيمه وأنماط حياته؛ ففي مرحلة الطفولة يتكون الضمير والوازع الأخلاقي، كما تتكون أغلب الاتجاهات النفسية التي تسيطر على سلوكه الفردي والجماعي، ففي مرحلة الطفولة يتكيف الفرد مع بيئته وهذا التكيف هو بداية معاملاته الاجتماعية مدى الحياة؛ لذا فإن كاتب مسرح الطفل تربوي بالدرجة الأولى؛ لأنه يعمل على إكساب الطفل القيم الأخلاقية والتربوية التي تكون سلوكياته وتوجهه التوجيه الإيجابي؛ ومن ثم الارتقاء إلى مستويات أفضل تجعله رجلًا للغد وصانعًا للقرار، لذا فإنه يجب على الكاتب المسرحي أن يكون على وعي تام بمناهج التربية والنتائج التي انتهى إليها علم نفس الطفولة وعلم نفس النمو، حتى يستطيع إدراك العلاقة بين ما يكتب وبين المرحلة العمرية التي يخاطبها في عمله، حتى تحقق كتابته غايتها القصوى التي يراد لها أن تتم.

والمسرح باعتباره وسيلة فعالة لتعليم الأطفال وتربيتهم له أساسه في النظريات النفسية الرئيسية فعن طريقه يتفاعل الأفراد مع البشر الآخرين والأشياء والأحداث في البيئة وهذا التفاعل يساعد الطفل على تعلم ما هو مهم في ثقافته وهو ما أكد عليه باندورا بشأن أهمية التعلم القائم على الملاحظة حيث "يقوم الأطفال بنمذجة السلوكيات

والمواقف والاستجابات العاطفية للآخرين وفقًا للأهداف المنشودة والآثار السلبية لتلك السلوكيات.[1]

ومن هنا فقد رأت الباحثة ضرورة لتناولها مسرحية بائعة الكبريت بالتحليل نصًا وعرضًا، لما تشتمل عليه من قيم تربوية مقدمة للأطفال لبيان دور تلك القيم في تنشئة الطفل التنشئة السليمة.

مشكلة البحث:

يعد مسرح الأطفال مجالًا حيويًا لتربية النشء وتعليمه، وإن نظرة سريعة إلى ما أنجزته فرنسا أو الولايات المتحدة أو ألمانيا أو الدنمارك أو المملكة المتحدة أو اليابان، في هذا المجال تجعلنا ندرك مدى تقصيرنا وحاجتنا إلى مسرح للأطفال وإلى تربويين وعلماء نفس، يشرفون على إنتاج مسرح الطفل في عالمنا العربي، فعلى الرغم من وجود نصوص مسرحية عديدة موجهة للطفل فإن الساحة الثقافية والأدبية لا تزال في حاجة ماسة إلى الكثير والكثير؛ لأن مسرح الطفل ذو عمر قصير إذا ما قيس بمسرح الكبار، ولهذا نجده يتقدم ببطء شديد؛ بسبب قلة الملمين بشروطه وسماته وأبعاده؛ فالاحتكاك بالطفل وفكره وسلوكه، والإلمام بمراحله العمرية وما يتناسب معها من نصوص أدبية مسرحية؛ يجعل الكاتب أقرب إلى معرفة اهتمامات الأطفال الخيالية والواقعية أيضًا؛ ذلك أنه لا يمكن فصل مسرح الطفل عن علم النفس والدراسات التربوية لما له من أثر فعال في جذب الطفل إلى أدبه وإدهاشه وإمتاعه، وقد وقع اختيار الدراسة على مسرحية" بائعة الكبريت" للكاتب والمخرج المسرحي التونسي حاتم مرعوب والتي أعدها عن نص لرائد أب الطفل كريستيان أندرسون فحكايتها قد استندت إلى التراث الشعبي الغربي، وقد جعل من تلك الحكاية منطلقًا نحو الواقع المعيش لمناقشة قضاياه الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية بأسلوب بعيد عن المباشرة،؛ لما فيها من قيم تربوية تتفق وتربية الطفل وتنشئته، فضلًا عن مشاهدة الباحثة لتلك المسرحية أثناء تواجدها في "مهرجان مسرح فرقة الدن للثقافة والفن بسلطنة عمان" في ديسمبر عام 2016 من خلال ذلك وجدت الباحثة ضرورة لبحثها من خلال طرحها التساؤل الآتي:-

- ما القيم التربوية المتضمنة في النص المسرحي بائعة الكبريت للمخرج حاتم مرعوب وكيف عبرت عنها عناصر العرض؟

وحتى تتمكن الباحثة من الإجابة عن السؤال الرئيس فقد طرحت عددًا من الأسئلة الفرعية كما يلي:

- ما سمات النص المسرحي المقدم للطفل؟ وإلى أي مدى نجحت مسرحية بائعة الكبريت في تقديم القيم التربوية للطفل العربي بما يتفق مع سيكولوجية التلقي؟
- كيف ساهمت لغات خشبة المسرح في توظيف القيم التربوية الموجودة في النص عبر العناصر السمعية والبصرية؟
- ما دور العناصر الفنية (النص، الممثل وعملية التمثيل، الديكور، الملابس، الإضاءة والمؤثرات الضوئية، الموسيقى والمؤثرات الصوتية، الماكياج، الإكسسوارات المسرحية) في إبراز القيم التربوية.

أهمية البحث:

1- تكمن أهمية البحث في تعرضه للقيم التربوية والخلقية وتوظيفها في مسرح الطفل؛ لما لها من دور مهم في تكوين شخصيته، وقدرةٍ على توصيل الرسالة؛ ليتعايش مع حاضره ويستعد لمستقبله ويصبح فردًا فاعلًا في محيطه الاجتماعي والثقافي، قادرًا على التواصل الإيجابي المثمر.

2- تأتي أهمية البحث من أهمية الموضوع الذي يتناوله وهو دراسة القيم التربوية في مسرحية بائعة الكبريت (نصًا وعرضًا) للكاتب والمخرج المسرحي التونسي حاتم مرعوب.

3- تأتي أهمية البحث في كونه دراسة جديدة في مجال أدب الأطفال، يمكن أن يستفيد منها العاملين بهذا المجال والباحثين والمهتمين بمجال نصوص وعروض مسرح الطفل.

4- دراسة قد تفيد المجتمع والقائمين على المؤسسات التربوية نحو الاهتمام بالنصوص والعروض المسرحية المقدمة للأطفال باعتبارها رافدًا من روافد الأدب والثقافة ووسيلة من وسائل تحقيق التربية لهم.

5- تكمن أهمية البحث فيما يصل إليه من نتائج بحثية يمكن أن تفيد المسئولين ومتخذي القرار نحو الاهتمام بالعروض المسرحية، باعتبار أن مسرح الطفل رافد ووسيلة من وسائل التربية

أهداف البحث:

1- الوقوف على بعض القيم التربوية المقدمة للطفل.

2- يهدف البحث إلى تحليل مسرحية بائعة الكبريت نصًا وعرضًا واستخلاص القيم التربوية بها.

3- إلقاء الضوء على مسرحية بائعة الكبريت وما تحويه من قيم تساعد في تشكيل شخصية الطفل ليتناغم مع حاضره ومستقبله بفاعلية.

مصطلحات البحث:

القيم التربوية:

تعرفها الباحثة إجرائيًا بأنها: معارف وجدانية إزاء شعور الفرد بجوانب انفعالية قوية ودعامة تتصل اتصالًا وثيقًا بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية والتي تحدد علاقاته بالأفراد الأخرين.

مسرح الطفل:

هو مسرح أنتج خصيصًا للأطفال قد يكون عرائسيًا أو بشريًا، لتنميتهم عقليًا وثقافيًا وخلقيًا وعاطفيًا وجماليًا من خلال التكامل بين النص ولغات خشبة المسرح.[2]

حدود البحث:

أ- الحدود الموضوعية:

دراسة القيم التربوية في مسرحية بائعة الكبريت (نصًا وعرضًا) للكاتب والمخرج المسرحي التونسي حاتم مرعوب.

ب- الحدود الزمنية:

أجريت الدراسة خلال العام 2019/ 2020م.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصفي التحليلي نظرًا لطبيعة الدراسات المسرحية بشكل عام وتلك الدراسة بشكل خاص لمناسبتها لطبيعة البحث، والتطبيق على مسرحية "بائعة الكبريت" إعداد الكاتب التونسي" حاتم مرعوب" عن نص لرائد أدب الطفل العالمي الكاتب النماركي الأشهر "هانس كريستيان أندرسون".

الإطار النظري:

أولًا: تعريف القيم:

القيم في اللغة: جمع قيمة، قوم الشيء قدره، ويذكر بن منظور إن القيام يأتي بمعنى المحافظة والملازمة، كما يأتي بمعنى الثبات والاستقامة، فيقال: أقمت الشيء قومته فقال بمعنى استقام... والقيمة ثمن الشيء بالتقويم.[3]

وتأتي كلمة القيمة لغويًا بمعانٍ متعدد: كالتقدير، فقيمة هذه السلع كذا، أي تقديرها كذا، وبمعنى الثبات على الأمر، نقول فلان ما له قيمة، وبمعنى الاستقامة والاعتدال، يقول الله تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" أي يهدي للأمور الأكثر قيمة أي للأكثر استقامة.[4]

أما تعريف القيم اصطلاحًا فيختلف من حقل لآخر ومن باحث لآخر وبناء على المجال التربوي الذي تنتمي (اقتصاد، فلسفة، دين.....) وتبعًا لنوع القيم ذاتها (اجتماعية، دينية، اقتصادية...).

فقد عرفتها فوزية ذياب باعتبارها "أحكامًا نصدرها وفق مجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي نعيش فيه، والذي يحدد المرغوب فيه والمرغوب عنه، أي مفهوم تجريدي يؤثر على اختياراتنا من عدة بدائل لطرق ووسائل وأهداف السلوك".[5]

وأيضًا تُعرف بأنها "مفهوم يدل على مجموعة من المعايير والأحكام تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف توجيهات لحياة يراها جدية لتوظيف إمكانياته، وتتجسد خلال الاهتمامات والاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة.[6]

وهي كذلك" معتقدات لما هو مرغوب أو حسن وما هو غير مرغوب أو سيء، وهي تعكس ثقافة المجتمع، ويشارك فيها أغلب أعضاء المجتمع، وإذا قبل الفرد قيمًا لنفسه فإنها يمكن أن تصبح هدفًا له".[7]

مما سبق ترى الباحثة أن القيم التربوية عبارة عن معارف وجدانية إزاء شعور الفرد بجوانب انفعالية قوية ودعامة تتصل اتصالًا وثيقًا بالمستويات الخلقية التي تقدمها الجماعة ويمتصها الفرد من بيئته الاجتماعية الخارجية والتي تحدد علاقاته بالأفراد الأخرين.

أهمية القيم التربوية:

القيم شيء ضروري ولا غنى عنه لكل من الفرد والمجتمع؛ فهي تساعد الفرد في ممارسة حياته اليومية، كما تعمل على اتزان المجتمع وحمايته من التفكك، وبناءً على ذلك يكون للقيم أهميتها بالنسبة للفرد وأهميتها للمجتمع.

أهمية القيم بالنسبة للفرد:

- تدفع القيم الفرد لتحسين إدراكه ومعتقداته وتساعد على فهم من حوله تعمل على إصلاحه نفسياً وخلقياً وتوجهه نحو الخير.
- تحقق التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي للفرد تعدل السلوك؛ لأن فقدان التوازن النفسي يؤدي إلى فقدان السلوك.[8]
- يستعين الفرد بالقيم في التعبير عن ذاته وبالتالي فهي تحقق له الأمان.

أهمية القيم بالنسبة للمجتمع:

- تزود المجتمع بطبيعة العلاقات التي يجب أن تسود بين المجتمعات الأخرى، وتحدد له أهدافه.
- القيم تحمي المجتمع من أنانية وذاتية الأفراد، وتجعلهم يفكرون في غايات وأهداف سامية.[9]
- تمثل القيم همزة وصل بين العقيدة والايدلوجية التي يتبناها المجتمع وبين النظم الاجتماعية من جهة أخرى.
- تزود أفراد المجتمع بقدر مشترك من الثقافة والتفكير وبالتالي تساعد على بناء الشخصية العامة المشتركة لجميع أفراد المجتمع.

- تعبر القيم عن غايات يسعى أفراد المجتمع لتحقيقها، وتعمل على توجيه المجتمع إلى العمل الجماعي.
- القيم هي الأساس للقواعد والقوانين التي يتوافق عليه الناس نتيجة التزامهم بتعاليم دينهم وقناعتهم التامة بضرورة التمسك بتلك القيم وتطبيقها في حياتهم لتستقيم الحياة ويتحقق لديهم الرضا والشعور بالسعادة، والوحدة والانتماء، فيكون المجتمع متماسكًا، قوياً، راقياً، يسمو فوق الضغائن، وكل إنسان في هذا المجتمع يبتغي من ذلك رضا الله عز وجل في كل أمر من أمور حياته.
- تساعد القيم المجتمع على مواجهة التغيرات السلبية التي قد تطرأ عليه ذلك لإعطاء بدائل حكيمة يسهل على أفراد المجتمع التعامل بها في المواقف المختلفة فيما بينهم.[10]

فالقيم هي الاعتراف بالموضوعات التي ترتبط بقدسية الحياة عامة، وفي حالات كثيرة قدسية الكائنات الحية، والقدرة على فهم الصواب من الخطأ، والاهتمام بقواعد السلوك والاتجاهات التي تحكم قدسية الحياة الإنسانية، أي يحترم حقوق الآخرين عند تعامله مع المخلوقات الأخرى بأنواعها كافة.[11]

ويمكن النظر إلي القيم التربوية والأخلاقية، باعتبارها مجموعة من المعايير والسلوكيات الخيرة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان، فالإنسان الأخلاقي خير في حياته باطنيًا وظاهريًا، لنفسه وللآخر، ومن المهم تربويًا البدء مبكرًا بإرساء وتشجيع اكتساب القيم الأخلاقية والعمل علي تطويرها مما يؤدي بعد ذلك تكوين الوعي الأخلاقي؛ إذ يمكننا توظيف العديد من خبرات الطفل في إثراء القيم لديه مثل اللعب، والأنشطة الجماعية، والمحادثة، والقصص، ولعب الدور، ويرجع ذلك إلي ما يواجهه الناس في الوقت الحاضر من مشكلات معقدة، وقضايا سياسية، وأمور عديدة تتعلق بالأخلاق أو ترتبط بما يجعل ليس من السهل تنمية القيم الأخلاقية لدي الأطفال، وعلي الرغم من ذلك يمكن "البدء بتنمية القيم الخلقية لدي الأطفال منذ مرحلة الطفولة المبكرة، وذلك عن طريق تعليم الطفل العدل والتسامح والإيثار والتعاطف، وتحمل المسؤولية والانتماء واحترام الذات واحترام الآخرين".[12]

إن شخصية الإنسان عبارة عن مجموعة من القيم والمبادئ، وهذه القيم هي النافذة التي من خلالها ينظر الشخص إلى الأخرين، ويتعامل معهم ويؤثر فيهم ويحاورهم، وهذه القيم هي المعيار الذي من خلاله ترتفع قيمة الفرد بناءً على ما يملكه من خير وإحسان ونفع للآخرين، أو تهبط بناءً على ما يملكه من جوانب شر وحسد وظلم.[13]

لذا يستلزم تعريف الطفل ببعض القيم الخلقية والعمل على تنميتها لديه، حيث يقرر الباحثون أن القيم الأخلاقية والروحية قادرة بعد توحد الفرد معها وتشربه لها على أن تجنب النفس البشرية كل ما يفسد عليها حياتها أو يعصف بهدوئها وراحتها النفسية.[14]

القيم التربوية وتوظيفها في مسرح الطفل:

الطفل يكتسب قيمه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وما تقدمه له من سلوكيات إيجابية مثل (الاستئذان، المشاركة، الاعتماد على النفس، احترام الآخر ومساعدته، التضحية من أجل الآخرين،.....) لذا فإن القيم التربوية بحاجة إلى تخطيط منظم من قبل التربويين، حتى تصبح جزءًا لا يتجزأ من حياته.

وعند الحديث عن ماهية الطفولة فإننا نجد أنها تعتبر في أحد جوانبها شيئًا غريبًا لابد من إذعانه ونصحه وتوجيهه من خلال التربية والتعليم على النحو الذي يريده الكبار فقط، ومن زاوية أخرى فهو يعد في نظر البعض الأخر إنسانًا صغيرًا له في المستقبل القريب احتياجات نفسية، وسيواجه المشكلات التي يعيشها الكبار ذاتها وينبغي أن يمهد لذلك عبر مراعاة الموضوعية في احتياجاته الحالية في مقابل احتياجات الكبار التي سيواجهها في المستقبل، وهو ما ينبغي أن نتعامل مع الطفل على أساسه.[15]

ويرى "كولبرج" أن الأطفال لهم أخلاقيات خاصة؛ حيث إنهم لا يتكيفون فقط لقواعد ثقافاتهم، بل يتكيفون وفقًا لآرائهم الخلقية الخاصة التي تتكون من خلال تفكيرهم الخلقي وكذلك يرى أن الفرد يصل بمرحلة في التفكير المنطقي إلي مستوى العمليات المحسوسة طبقا لبياجيه فقط يتوقف عند المستوى الأخلاقي قبل التقليدي بينما الفرد

الذي تبلغ مرحلته في التفكير المنطقي إلي مستوى العمليات الشكلية الصورية لا يتعدى المستوى الأخلاقي التقليدي.[16]

فالسلوك الاجتماعي كما ذكر "ألبرت بندورا" يتضمن دائما تفاعلًا بين شخصين أو كثر، وينشأ هذا السلوك عن تفاعل مجموعة من العوامل الشخصية مع مجموعة من العوامل البيئية. كما يرى أن السلوك الاجتماعي يميل إلي التعميم، ولأن يكون ثابتا لفترة طويلة من الزمن، فالشخص الذي يميل إلي التصرف بعدوانية في موقف معين من الممكن أن يكون عدائيًا في كثير من المواقف المشابهة، وتلعب الملاحظة والتقليد دورًا كبيرًا في التعلم الاجتماعي.[17]

فالطفل –على سبيل المثال– يتعلم أشياء كثيرة لملاحظته والديه، أو أقرانه أو مشاهدته عمل مسرحي؛ فهو مقلد جيد لكل ما يشاهده بصرف النظر عن ما كان هذا السلوك إيجابيًا أم سلبيًا؛ يلاحظ سلوكيات وعادات واتجاهات الأفراد الأخرين ويعمل على تعلمها من خلال الملاحظة والمحاكاة، وبذلك تعد المحاكاة سلاحًا ذو حدين، فما يقلده الطفل قد يكون صالحًا وقد لا يكون، "فالمحاكاة غريزة في الإنسان، تظهر فيه منذ الطفولة، فهو يختلف عن سائر الحيوانات في كونه أكثرها استعدادًا للمحاكاة، وبالمحاكاة يكتسب معارفه الأولية".[18]

فالطفل يُلَاحظ في الحياة العامة وهو يحاكي سلوك الأب والأم والمعلم، وأية شخصية أخرى تقع في دائرة المثال (القدوة) الكامن في خياله، وينعكس الأمر نفسه في العرض المسرحي، إذ يستثار خيال الطفل ويستجيب وجدانه لشخصية البطل (المثالي) الذي ينتصر للحق والخير، ويتمتع بوجود القوى التي لا تقهر سواء كانت إنسية أو حيوانية، فهو يجد نفسه فيها، ويقوم بمحاكاتها فعلًا وقولًا في إطار أجواء اللعب الذي يشكل محور عالمه.[19]

وللمسرح دوراً مهماً في خلق الشخصية الواعية المتكاملة القادرة على مواجهة المواقف الحياتية بشجاعة وثبات، لما له من أثر فعال في مخاطبة عقول النشء ووجدانهم، وفتح قنوات الاتصال والمعرفة من خلال ما يقدمه من تجارب إنسانية وقيم تربوية، ومعارف علمية، كما يعتبر من أهم أساليب التربية الحديثة ومن أفضل وسائلها لتنمية شخصية الطفل في مراحل طفولته المختلفة، فهو "وسيلة فعالة لتنمية مفاهيم

الطفل المختلفة وتعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل لنمو المفاهيم وذلك لحاجة الأطفال لفهم العالم وإيجاد تفسير للأحداث والأشياء من حولهم".[20]

ومن أكبر التحديات التي تواجه الكتابة لمسرح الطفل، ما يتعلق بأسلوب الكتابة ولغة الحوار، ويرجع ذلك إلى الطبيعة الخاصة لعالم الطفل وما ينطوي عليه من غموض يتطلب الدقة، فعلى كاتب نصوص مسرح الطفل مراعاة أن يكون أسلوبه سهلاً وفي جمل مناسبة الطول بعيدة التعقيد أو الغموض أو الاستطراد، وهذا ما يؤكده أبو الحسن سلام[21] بقوله: "إن اللغة هي السلسلة التي تنفذ إلى ذهن الطفل بيسر دون أن تبعث في نفسه الملل أو الإرهاق أو تجره إلى الشرود الذهني"، وتلك من أهم سمات النص المسرحي المقدم للطفل.

ومن ثم ترى الباحثة أن من أهم السمات التي يجب أن تتصف بها النصوص المسرحية لتناسب طبيعة الطفل أن تحتوي على مغزى تربوي ولغة مسرحية سهلة وفكرة واضحة يمكن للطفل استيعابها والتفاعل معها؛ ذلك أنه لا قيمة للمضمون التربوي التعليمي التثقيفي لمسرح الطفل، مالم يقدم بأفضل الطرق الفنية التي تجتذب الأطفال تجاه العرض المسرحي وتمتعهم به، "فلا قيمة لمضمون جيد يفشل في أن يصل إلى عقول الأطفال وقلوبهم بسبب عدم مراعاة العناصر الفنية المختلفة من حبكة مسرحية ورسم واضح للشخصيات وروح فكاهية تنسجم مع طبيعة الأطفال المرحة وتحببهم في العرض".[22]

إن ما تحتوي عليه النصوص المسرحية والعروض المقدمة للأطفال من قيم تربوية، يكون لها دورٌ مهمٌ في تنمية شخصيته؛ فالقيم قوة محركة لسلوك الفرد ومرجعًا له في الحكم على الأشياء واختيار الصالح منها، فعن طريقها يستطيع التميز بين الخير والشر ومن ثم التمسك بالأخلاق الفاضلة.

وهذا أيضًا ما يؤكد عليه "سمر روحي الفيصل": «إن المسرح من أكبر المعلمين للأخلاق الفاضلة والعمل فيه ليس ضياعا للوقت، بل هو إعادة تربية للإنسان، فالمسرحية فن أدبي يعالج موضوعًا ما على خشبة المسرح، تعتمد على التشويق والإثارة[23]؛ فعلاقة الطفل بالمسرح علاقة وثيقة، فهو يميل إليه؛ لأنه يعبر عن أفكاره، ويفصح عن مشاعره بوساطة اللغة والإيحاء والحركة والموسيقى، فضلًا عن

كونها مصدرًا مهمًا لمتعته وتنشيطه وتفعيل دوره في الحياة والكتابة والتعايش والتواصل وقبول الآخر وفهمه.

ومن خصائص الكتابة لمسرح الطفل مراعاة البعد عن الحبكات المعقدة والأحداث المبعثرة داخل النص التي قد تصرف انتباه الطفل عن العمل الفني كله، ولكن هذا لا يعني أيضًا اللجوء إلى تسطيح الموضوعات، فثمة فرق شاسع بين عملية انتقاء مادة هي من ضمن خلفية الطفل، وبين عملية تبسيط الحياة من أجل "الفكر الطفولي"، فالعملية الأولى جائزة، أما الثانية فهي خطأ نرتكبه"[24]، لذلك فلابد من وضوح الأزمة والذروة داخل النص المسرحي مع عدم المبالغة في تبسيط الأحداث.

والنصوص المسرحية الناجحة في مجال مسارح الأطفال هي تلك النصوص التي تنجح في تزويدهم بالقيم الخلقية والتربوية والثقافية المختلفة، كما تعمل على مدهم بالخبرات الجديدة، وتوسيع مداركهم؛ فمسرح الطفل قادر على تهذيب الجيل الجديد وتربيته وإعداده ثقافياً وخلقياً ونفسياً وجمالياً ليكون قادرًا في المستقبل على القيام بواجباته والتزاماته تجاه ذاته وتجاه الآخرين.

وقد ظهر ذلك جليًا في مسرحية "الشبكة المسحورة " لـ "محمد الغيطي" فالنص يناقش العديد من القضايا الفكرية ويبث في وجدان المشاهد كثيرًا من الأفكار الإيجابية وينمي لدى الطفل قيمة حب الانتماء وضرورة التعاون وأهمية التسلح بالعمل ونبذ الخرافات والجهل، كل ذلك في إطار استعراضي محبب، ويعتمد النص على عالم الأحلام والخيال جنبًا إلى جنب مع عالم الواقع الفعلي، كما تناولت المسرحية الإصرار على ضرورة أن يكون الهدف هو المبتغى الذي لا حياد عنه لبلوغ النهاية السعيدة التي لا تتأتى إلا بالثبات على المبادئ والتمسك بها.

وفي مسرحية" المركبة المزيفة"[25] لـ "هيثم الخواجة" نجد أنها تحمل في ثناياها قيمًا خلقية وتربوية وصحية تدعو إلى الحفاظ على البيئة وضرورة اللجوء إلى الحوار في معالجة المشكلات والرجوع إلى الصواب بعد اقتناع، وأن الوعي بأي خطر يهدد الصغار عن طريق المخترعات الحديثة من تشويه للأفكار والنفوس؛ سيعود الأطفال على مواجهة أي أخطار عندما يصبحون كبارًا، فالنص رسالة إلى الأطفال وإلى ذويهم وأولياء أمورهم، تتمثل في "راغد" الطفل الذي يلفت أنظار رفاقه الأطفال بأخطار

وشرور اكتشفها في مواقع إلكترونية فتبدأ المراقبة والمتابعة لتقص ما يفعله الأشرار بين الإشاعة والحقيقة، من غزو لمدينتهم أو تسرب لهم من خلال ما هم مشغوفين به من المخترعات الحديثة (الآي باد، الواتس أب، التويتر)، وما يبث من أفلام وألعاب وما ينشر في الكتب والمجلات لتشويه الأفكار وهدم الأخلاق ومن ثم تتوحد الآراء والأفعال الموجهة للأشرار؛ لمواجهة من يكذب ويعارض، وذلك من خلال نقاش حر للوصول إلى نتيجة لا يرفضها العقل ولا الواقع هي" أن هذه المخترعات الحديثة تقدم المفيد كما تقدم الضار، ضمن الأفلام والألعاب المتنوعة والمسلية، المهم التفريق بينهما والحذر من كل ما يؤذي الأطفال من هذه المقولة بنى الكاتب مسرحيته، حتى يصل الطفل إلى تحقيق رغباته وغاياته وأهدافه في الحياة" ليكون قادرًا عن طريقها الإسهام بإيجابية وفاعلية في حياته وتهذيبها.

إن الفن يستطيع أن يكون محاورًا ومجادلًا للواقع المعاش ومصورًا له، لكنه أيضًا يستطيع أن يكون متجاوزًا لهذا الواقع...إنه لا يمكن أن يكون صورة مطابقة تمامًا للواقع نقدمها على مسرح الطفل، إن كل ما نفعله على خشبة المسرح يبدو للوهلة أنه الفن الحقيقي، وذلك عندما نعرض فقط ما هو الشر وما هو الخير.[26]

إن الأبعاد التربوية والخلقية في المسرح بشكل عام وفي مسرح الطفل بوجه خاص هي نظام متكامل من الحقائق والمعايير والقيم والخبرات والمعارف والمهارات الإنسانية التي يقدمها مسرح الطفل.

ويجب ألا يغيب عن بال الأديب أن الطفل يكره المباشرة، ويحجب الواقعية الموشاة بأستار الفن والمغامرة والخيال، فالأديب كما هو معروف – ليس واعظًا أو مصلحًا اجتماعيًا، وإنما هو مبدع رهيف المشاعر، واسع الثقافة، متعمق في نفس الطفل ومراحل تطوره وإيقاع الحياة من حوله، إن أي أدب طفلي لا يعتمد المتعة والتشويق والإثارة يبقى بعيدًا عن اهتمام الطفل ورغباته.

ويعتبر المسرح أحد الوسائل التثقيفية والتعليمية والتربوية التي تدخل في نطاق التربية الخلقية فضلًا عن مساهمته في التنمية العقلية، إلى جانب اهتمامه بتعليم الطفل منذ مراحل تكوينه الأولى داخل وخارج المدرسة، كما يهدف المسرح إلى تعليم المبادئ التربوية المتصلة بالجوانب التعليمية من أجل تبسيط الدروس للأطفال، فضلًا عن

اهتمامه بالنواحي الخلقية والسلوكية المتعلقة بالجوانب التربوية بمفهومها العام الشامل.[27]

"ومسرح الطفل هو خير معلم للأخلاق، و خير دافع للسلوك الطيب".[28]

"وهو أحد الوسائل التربوية الراقية والمؤثرة، بحكم أنه يخاطب حواس الطفل المختلفة، وهو أبرز وسائل الاتصال الجماهيري الفاعلة والمؤثرة، حيث يلعب دوراً مهماً في تكوين شخصية الطفل وبنائها بناءً سوياً".[29]

كما أن لمسرح الطفل أدوارًا مهمة في تنمية التربية الخلقية لديه، فهو يعمل على تصوير المفاهيم الأولية للجوانب الخلقية فيستطيع الطفل تصور قيم الخير في مقابل الشر والعدل في مقابل الظلم، والصدق في مقابل الكذب، فضلًا عن أن المسرح يجمع بين اللعب والمتعة الوجدانية للطفل، ويعتبر نص "مسرحية عودة ورد"[30] لـ "هيثم الخواجة "من النصوص التي تعمل على توسيع مدارك الأطفال، كما تعمل على خلق نمط فني يرقى إلى سمو الذات لدى الطفل، وينمي لديه مشاعر التمسك بالكرامة وعدم الاعتداء ونبذ حب الذات على حساب الآخر، فقد جاء هذا العمل لينمي القيم العليا لدى الأطفال، فقد كرس الكاتب لمفهوم التعايش السلمي إن جاز القول واحتضان الآخرين وعدم النفور من فكرة المحاولة في سبيل الوصول إلى الهدف المرسوم دون خوف؛ بل نراه قد ركز تركيزاً شديداً وهو يتناول موضوع الإصرار على ضرورة أن يكون الهدف هو المبتغى الذي لا حياد عنه لبلوغ النهاية السعيدة التي لا تتأتى إلا بالثبات على المبادئ والتمسك بها.

فليس مسرح الطفل مجرد سرد للأخبار والمعلومات فهو ينقل التجارب البشرية والمعرفة للطفل بوسائل ممتعة تسهم في فهمه للحياة وتطورها مما يساعد في التنشئة الاجتماعية لأجيال تساعد في بناء المجتمع وهو ما يؤكده كمال الدين حسين " إن المسرح يساعد على تكوين شخصية الطفل بإسهامه في نموه العقلي والنفسي والاجتماعي واللغوي".[31]

ولقد اعتمد أدب الطفل في بداياته الأولى على الأدب والتراث الشعبي الذي يضم الحكم والتسلية والحقيقة والخيال وعمد بعض الكتاب إلى جمع الحكايات الشعبية والتي تمتد جذورها إلى الشرق حاملة الحكم والمواعظ والقيم الأخلاقية، وتعد حكايات "

البانجاتنترا" للحكيم الهندي برهمي من أوائل الحكايات التي استمد منها الكتاب خرافاتهم، وفي الأدب العربي بدأت الكتابات الأولى التي وجهت للأطفال العرب في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد اعتمدت تلك الكتابات على التراث المتمثل في الحكايات والأساطير.[32]

ففي مسرحية (صحصح لما ينجح) لـ (صلاح جاهين) انطلق (جاهين) من التراث إلى التأريخ، خالقاً قالباً مسرحياً حداثياً، فض فيه التشابك ما بين التراث و الحداثة، صانعاً حالة من الانتقاء الإيجابي، لشوائب الخرافة، منحها صفة التحقق الفعلي، دون التخلي عن التخيل الإبداعي عبر أجواء افتراضية، التي يرتضيها الطفل، يسبح عبرها وصولاً إلى النمو المعرفي، عبر اكتساب مفاهيم، و مدركات تحقق أبنية عقلية، تمنحه الاتزان خلال التعليم و التعلم.[33]

فقد جاءت الفكرة الرئيسة التي بنى عليها (جاهين) نصه، هي النجاح فلا تقتصر عملية النجاح على الامتحانات، بل أوضح أن النجاح الحقيقي هو تنظيم الوقت، لتحقيق المتعة والمعرفة وقد ظهر ذلك من خلال مجموعة من السلوكيات المتكررة خلال مراحل الحياة، فلن يتأتى النجاح إلا بالعمل والمثابرة ونبذ الاتكالية، فقد حقق صحصح رغباته بالعمل والكد وهو دلالة عبرت عن قيمة العمل من أجل الحصول على متطلبات الحياة، وقد ذكرت راندا حلمي أن "احترام الوقت يعد وسيلة لبناء المعرفة والترقي خالقًا بذلك طفلًا متمسكًا بالقيم ساعيًا إلى المعرفة، باحثًا عن الارتقاء، وصولًا إلى تقدير الذات عبر مراحل العمر المتقدمة".[34]

ولمسرح الأطفال دور ثقافي؛ حيث إنه يقود إلى إكساب الأطفال القيم والاتجاهات واللغة وعناصر الثقافة الأخرى، إضافة إلى ما له من دور معرفي من خلال قدرته على تنمية عمليات الطفل المعرفية، المتمثلة بالتفكير والتخيل والتذكر، وبوجه عام فإن مسرح الطفل – باعتباره تجسيدًا لثقافة الأطفال – يسهم في انتقال جزء من الثقافة إليهم بصورة فنية، كما يسهم في إقناعهم بالآمال الجديدة... لذا فهو أداة في بناء ثقافتهم.

من الأمور البديهية أن الاتجاه الفكري في النص المسرحي يشكل بعدًا فنيًا ويعد دعامة رئيسة من دعامات تفوق النص وتميزه، من حيث قناعة الجمهور وتحريك

النبض وإثارة العقول ودغدغة المشاعر[35]، ولعلنا نلحظ في النص الذي أعده " مرعوب" أنه قد استند إلى التراث الشعبي الغربي واستمد منه حكايته، لكنه جعل من تلك الحكاية منطلقًا نحو الواقع المعيش لمناقشة قضاياه الاجتماعية والإنسانية والاقتصادية بأسلوب بعيد عن المباشرة.

فقد اتخذ الكاتب قالباً من التراث، ليصب فيه أحداث مسرحيته، خلال طرحه قضايا معاصرة، تخص الطفل في فترة زمنة معينة، فالتراث مصدر ثرى ألهم عدداً كبيراً من كتاب المسرح. "والأصالة لا تعنى التخلف والجمود، وإنما هي الرؤية المعاصرة للتراث، لأنه لابد لنا ونحن نتعامل مع التراث، ألا نتعامل معه كمادة خام، تنتمى للماضي البائد، وإنما نتعامل معه كمواقف وحركة مستمرة، تساهم في تحريك التاريخ و تطوره".[36]

إن أدب الأطفال أداة مهمة من أدوات تنشئة الطفولة التي تعد عماد المستقبل فهو يسهم وبقوة في بناء القيم الاجتماعية والخلقية، لذا فإنه يستمد فلسفته ومقوماته من فلسفة المجتمع وعاداته وتقاليده ومن فلسفة التربية الحديثة التي تولي الطفل رعاية خاصة نفسيًا واجتماعيًا ووجدانيًا.[37]

ومن خلال احتكاك الباحثة بمجال الطفولة والمسرح وجدت أن المسرح من أهم الفنون المقدمة للطفل التي تعتمد على نصوص أدبية، إذا ما تم انقاؤها بعناية فإنه يحدث أثرًا كبيرًا على الطفل ويؤثر بشكل فعال على نموه الاجتماعي والثقافي والخلقي والمعرفي؛ من هنا فإننا نناشد أدباء الطفل وكتابه بتوخي الحذر عند الكتابة للطفل وكذلك القائمين على تربية الطفل وتنشئته والمسرحين بانتقاء الأعمال الأدبية المقدمة له.

إن مهمة المبدع – لاسيما المبدع المسرحي– مهمة شاقة وذلك لما يمتلكه المسرح – لا سيما مسرح الطفل– من قدرة على سبر أغوار النسيج الإنساني، وهو فن يبث الثقافة والوعى، كما يحمل بوحًا فكريًا عميقًا.

بقي أن أوضح أهمية المزج في اتجاهات النص، إذ لا يقتصر نص الأطفال على جانب واحد: أخلاقي أو ديني أو خيالي أو غير ذلك، بل من المستحسن المزج

بين عدة جوانب، ليأخذ النص صفة الشمولية وهذا ما لاحظناه في مسرحية بائعة الكبريت فقد تناولها الكثير من الكتاب والمخرجين العرب وغير العرب.

بائعة الكبريت بين الشرق والغرب:

يعد "هانس كريستيان أندرسون" الدنماركي رائدًا لأدب الطفل، أصدر ما يزيد عن مائة وخمسين حكاية للأطفال أشهرها" البطة البشعة" و" فتاة المباراة الصغيرة"، و" بائعة الكبريت" وتتميز مسرحيات أندرسون وحكاياته بفكرتها الإنسانية التي تقدس الطبيعة والحياة وبمضمونها المتصل بالتجربة الواقعية.(38)

وقد قدمت "بائعة الكبريت" إلى العربية برؤى مختلفة بعض الشيء ولكن أحداثها مستقاة من القصة الأصلية لأندرسون، فقد تناولها كل من إبراهيم عدنان وحاتم المرعوب وغيرهم الكثير.

ففي قصة أندرسن تشعل الفتاة أعواد الثقاب لتشعر بالدفء، وما تلبث أن تموت وهي تحلم بالمدفأة، بالطعام، بجدتها، ما يعني أن الموت غلبها.(39) يبدأ المشهد الأول في ليلة عيد رأس السنة، حيث تتساقط الثلوج، والجو القارس يعم الشوارع، كانت هناك طفلة صغيرة خرجت إلى الشوارع، لتبيع أعواد الكبريت ولتشتري الدواء لأمها المريضة، لكن لم تصادف أحداً، وكانت تشعر بالبرد، ومعدتها كانت خاوية، وحبات الثلج تتناثر على شعرها الطويل الأشقر، قامت بإشعال عود ثقاب، وأحاطته بيدها حتى تشعر بالدفء، وعلى الضوء الخافت من عود الثقاب هذا، تراءت لها جدتها واقفة وسط الأضواء، وما إن رأتها الصغيرة حتى صرخت: جدتي، جدتي، خذيني إليك، فاقتربت الجدة منها، وأحاطتها بين ذراعيها، وطارتا معاً إلى السماء، فلم تعد الطفلة تشعر لا بالبرد ولا بالجوع، لقد ماتت إثر البرد في المساء الأخير من السنة، وعندما طلع النهار، ورأى الناس جثتها الممددة، قالوا: يا لها من فتاة صغيرة حزينة، أرادت الدفء، انتهى النص الأصلي بموت الأمل واليأس وأنها لم تحقق غايتها في نهاية الأمر وأما في قصة إبراهيم عدنان فالفتاة مصدر قوة بشكل أو بآخر على الرغم من عوزها، اليوم رأيتها عارية، علبها متفحمة وسترتها مكورة فوق شيء ما، تحاول جاهدة إشعال النار لدميتها أخبرتني أنها آخر من تبقى لها... الفتاة المعوزة الفقيرة تشعل أعواد الثقاب لا لتستدفئ بل لتدفئ دميتها.

أما مسرحية بائعة الكبريت – وفق رؤية مرعوب وإعداده، فقد نجح في تحويل النص الأصلي إلى نص مَحلي تونسي، من خلال لغة عربية فصحى سهلة وميسرة ومفهومة، وكل كلمة في حوارها دالة على معنى، وشخصية، على نحو واضح من خلال حبكة بسيطة وسهلة وغير معقدة في مقدمتها ووسطها ونهايتها، فضلًا عن أن معالجته الدرامية للنص اختلفت؛ فقد غير المرعوب من نهاية القصة فتستيقظ أماني لتعلن أن الأحلام لا تموت أبدًا.

«بائعة الكبريت».. نص يؤكد حق الأطفال في الحياة، وحاتم مرعوب، هو أستاذ مسرح تونسي ومخرج اختص منذ البداية في مسرح الطفل، وله العديد من المسرحيات، منها "الساحرات" و"أحلام فتاة صغيرة" و"بياض الثلج" و"سندريلا" و"الجميلة والوحش" و"شهرزاد". ونجح مرعوب خلال أحداث المسرحية "بائعة الكبريت" في توظيف مقومات العرض المتميز من الرؤية، التي تحقق الهدف والموسيقى والإضاءة والديكور والشخصيات والإكسسوار، بمساعدة فريق العمل من مؤلف كلمات الأغاني، والممثلين، بهدف تنوير المتفرج وإمتاعه.

القيم التربوية في مسرحية "بائعة الكبريت" بين النص والعرض:

أولًا: النص:

بدأ النص المسرحي" بائعة الكبريت" بعدد من الأطفال الذين ينتهزون ليلة رأس السنة لبيع بعض الأشياء مثل الورد والأقلام والحلوى وغيرها، لكن لا أحد يشتري منهم شيئا، فيشعرون بأن أحلامهم قد ضاعت شيئا فشيئا، ويندبون حظهم العاثر في تلك الليلة الباردة من ليالي الشتاء وهي ليلة رأس السنة التي كان ينبغي أن يستمتعوا فيها باللعب والاحتفالات وهو ما يبرز في جلاء معاناتهم الحياتية وظروفهم الصعبة التي حرمتهم الاستمتاع بطفولتهم كأقرانهم.

وفيما هم على تلك الحال تحدث المفاجأة برؤية فتاة صغيرة تأتي من إحدى الجهات ويستغربون لأنها تريد بيع أعواد الثقاب، وفيما يقدم أبطال المسرحية النصح لجمهور الصالة حول الضرر الذي قد تسببه أعواد الكبريت، تنتقل المسرحية إلى مشهد الأم وابنتها أماني في منزلهما في تلك الليلة، وبين إصرار الفتاة على الخروج لبيع أعواد الكبريت ورفض الأم خوفًا على ابنتها، تخرج الفتاة الصغيرة إلى الخارج وهي تحمل

صندوقها المليء بأعواد الثقاب (الكبريت) وهو مشهد يحمل رسالة تربوية واضحة للأطفال هي التضحية والعمل.

في المشهد التالي تنتقل المسرحية إلى التركيز على الظروف التي تعيشها الفتاة أماني في الشوارع الخالية من المارة، خصوصًا أن الثلج يسقط بغزارة، فلا أحد يشتري ولا أحد يأتي ولا أحد هنا، وبعد أن تدخل الفتاة أماني في حوار مع إحدى السيدات التي ترى أن أطفال الشوارع مجرمون ولصوص ولا مكان لهم في هذه المدينة الجميلة، تصرخ أماني أنها ابنة هذه المدينة، ثم تغفو قليلا لتتراءى لها الأحلام، بداية يتراءى لها الديك الرومي، ثم تتراءى لها جدتها التي رحلت منذ زمن، وفي حوار جميل وشاعري تطلب الجدة من أماني أن تأتي إليها لتشعر بالسعادة والأمان وتهرب من واقعها المرير، ويقدم المخرج صورة جمالية في مشهد رائع أكد فيه قدرته الفائقة على التعاطي مع المشهد، وفهم ما تحتويه اللوحة الجميلة.

وفيما تصل المسرحية إلى نهايتها يعود المشهد مرة أخرى للأطفال وهم مجتمعون حول فتاة الكبريت معتقدين أنها انتقلت إلى جوار ربها نتيجة الثلج والبرد القارس وفي تلك الليلة، تصحو أماني لتقول كلمة مهمة تلخص فيها ما تريده المسرحية فتصرخ فيهم «الأحلام لا تموت... الأحلام لا تموت» رافضة الرؤية المفترضة للعرض المسرحي وملخصة الرسالة التي يريد العرض إيصالها؛ حيث تطالب الأطفال بالبسمة وزرع الأمل والسعي لتحقيق الأحلام رافضًة كل الأمور السلبية، ورافضًة الضعف، ومؤكدًة على حق الإنسان وبخاصة الأطفال في البحث عن الأمل والتعلق به وعدم اليأس والتراجع مهما كانت الظروف.

تتمحور فكرة المسرحية حول التضحية من أجل الآخرين، حتى أنها رسخت ثقافة التضحية باعتبارها أسلوب حياة، فقد جاء النص حاملًا لكثير من القيم والمفاهيم، منها توظيف العقل في كل الأعمال على غيره في أسلوب التعامل مع الحياة، وتغليب المشاعر النبيلة على الحقد والانفرادية، فقد جسد الكاتب الخيال ووظفه في إيصال الفكرة للأطفال، وتعالج الأحداث قصة فتاة تبيع علب الكبريت وسط الأمطار وعواصف الثلوج حتى تعود مع نهاية يومها الشاق إلى أمها العجوز بالطعام والشراب والدواء،

ورغم ما تواجهه الفتاة في حياتها اليومية من مصاعب ومخاطر وظروف قاسية إلا أنها كانت تتشبث بالأمل لا تتخلى عنه لحظة.

تدور أحداث المسرحية حول أربعة أطفال من أطفال الشوارع وسط البرد القارس والثلوج المتساقطة يجوبون الطرقات لبيع (المظلات والأقلام والحلوى والجرائد) أملا في الحصول على ما يكفى قوت يومهم، ومنهم الطفلة أماني التي تبيع الجرائد لتساعد في علاج أمها المريضة، وتطل القيم التربوية برأسها للوهلة الأولى من النص، حيث نرى في مطلع المسرحية ظهورًا وتجليًا لقيمة العمل والسعي على الرزق والاعتماد على النفس وهى – بلا شك – قيم تربوية ينبغي غرسها في الأطفال منذ نعومة أظافرهم وإن لم يمارسوها ونلمح كيف أن الأطفال يحاولون أن يعملوا في مهن – رغم صغر سنهم– فأحدهم يبيع المظلات.

بويا: يامن يريد المظلات

تحميك من الأمطار

تحميك من الأخطار

مظلات مظلات[40]

وهى فضلًا عما تحويه من قيم فإنها تشتمل على أهداف تعليمية حين تشير إلى أهمية المظلات ووظيفتها في الحماية من الأمطار في فصل الشتاء وأخطار الحرارة في فصل الصيف،

ونلحظ على جانب أخر يبيع طفل آخر الورد.

مايه: يامن يشتري الورود

الليلة عيد

عام جديد[41]

وهو يشير إلى أن الورد أفضل هدية في الأعياد ومطلع الأعوام الجديدة وهو ما يرسخ لسيادة القيم الروحية عوضًا عما يجتاح العالم من مادية مقيتة طاغية، ولابد أن نشير هنا إلى أن الكاتب قد استخدم جمعًا دارجًا غير صحيح لكلمة وردة فجمعها الصحيح هو ورد، أما الورود على النحو الذي استخدمه الكاتب فهو الذهاب إلى منابع الماء.

بينما نرى ثالثة تبيع الجرائد

أماني: جرائد جرائد

يامن يشتري الجرائد

أخبار أخبار

فن وسياسة[42]

رياضة وأسفار

وهنا نفهم أن وظيفة الجرائد وظيفة تثقيفية إخبارية تطلعنا على أحوال السياسة والفن والرياضة والرحلات بينما نرى قيمة بث الأمل وعدم اليأس، والاستسلام أو التوقف في الطموح الإيجابي عند حد.

أماني: ما بكم ؟

لم هذا اليأس؟

هيا لنحاول من جديد

هيا يا أصدقاء لا تيأسوا[43]

بينما نجد إشارة إلى خطورة اللعب بالكبريت والتحذير منه لما له من أضرار جسيمة على الصحة وضرورة استخدامه الاستخدام الأمثل النافع.

ميسون: لا تلعبي بالكبريت

التدخين مضر بالصحة

لا حاجة لنا بهذا الكبريت[44]

الحوار هنا يشير صراحة إلى عادة سيئة وينبغي الابتعاد عنها وهي عادة التدخين الذي يقضي على حياة الإنسان، وحين يطلب منها أصدقاؤها أن تتخلص منها وترمى بها بعيدًا فإنها ترفض، فهى تشعر بأنها ليست علبة عادية، وأنها تحوى سرًا غريبًا.

أماني: أرميه ولكن لا أستطيع

سمور: لماذا؟

أماني: استمع الى أصوات خارجة من هذه العلبة

ميسون: أصوات ماذا؟

أماني: وكأنها نداءات قديمة

بويا: إنها تهذي من شدة التعب اليوم

أماني: أرى صورا أمامي حدثت في زمن بعيد[45]

وتطلب منهم "أماني" تجسيد ما رأته من صور وأصوات وتبدأ اللوحة الثانية بتجسيد قصة جديدة هي قصة "بائعة الكبريت".

تبدأ القصة في منزل "أماني" حيث تحاول والدتها المريضة طريحة الفراش أن تثنيها عن الخروج لبيع الكبريت في هذه الليلة الممطرة، قاسية البرد وهنا تتجلى قيمة أخرى وهي قيمة الإحساس بالآخر بين أماني وأمها وكيف أبدت الأم استعدادها لتحمل آلامها مقابل عدم خروج ابنتها في هذا الجو القارس ورغبتها في منحها – وهي المريضة– شيئا من الدفء، بينما تصر أماني على الخروج رغبة في شراء الدواء لها رغم ما يعترض طريقها من مصاعب ومشاق وهنا نرى المشاركة الوجدانية غير المشروطة بين الأم المريضة والطفلة أماني رغم معاناة كل منهما وعجزه عن امتلاك ما يقدمه بشكل فعلي كما نلحظ مدى خوف أماني على والدتها وحرصها على إحضار الدواء لها بأية وسيلة ممكنة حتى لو تعرضت للخطر وإصرارها وكيف أن الأم – وهي المريضة– بدت أشد حرصًا على ابنتها وخوفًا من خروجها في تلك الليلة الباردة التي تنذر بخطر داهم قد يهدد حياتها.

"**الأم:** لا داعي للخروج هاته الليلة

ولنصبر الى يوم الغد

لا داعي للخروج عزيزتي أماني

انظري الثلج استمعي إلى صفير الرياح

البرد، البرد البرد يغمر المكان

أماني: البرد لن يثني فيا العزم

والثلوج لا أخافها

وهذا الكبريت سأبيعه

ولن أعود يا ماما

لن أعود إلا بعد أن أنهي الكبريت كله

وأنت عليك أن تعودي إلى سريرك
جسدك لا يتحمل أمي لابد من الدواء"[46]

في المشهد الثالث نشاهد أماني، وهي تسير في الشارع وحيدة، بينما يحتفل الجميع في ليلة الميلاد فالعائلات سعيدة في بيوتها حول المدافئ، حيث يطرد الدفء العائلي كل أطياف الصقيع، الأرض خالية على مد النظر، الثلج يبتلع المدينة كالسحاب البرد يخترق المعاطف والحجر، والريح تعوي مثل ذئب وسط غاب، والليل كالشبح المخيم في الضباب، خرجت أماني للعراء كوردة في الثلج يقطفها الصقيعُ بقسوة لتبيع كبريتا لهم وتعود بالدواء لأمها، بينما تبصر خلف النوافذ الأطفالَ وهم في أحضان ذويهم فرحون، والدمعات في عينيْها والظلمة السوداء تعصر جسمها، والريح تصفعها على خديْها تسرع في اتجاه أحد المارة، ولكنه يواصل طريقه دون أن يلتف إليها، نشاهد أماني وهي تحاول أن تحتمي من البرد والثلج وتمضي إلى المقعد العمومي لكى تجلس قليلًا ولكنها تقف من جديد وتقول وكأنها تتحدى الجميع.

"**أماني:** أنا لا أخاف البرد
ولا أخشى الرياح
ولتهطل الأمطار كما تريد
ولتنزل الثلوج على الأرصفة
أما أنا فسأنادي بأعلى صوتي
كبريت كبريت يا من يشتري كبريت"[47]

يقدم النص المسرحي "بائعة الكبريت" دعوة صريحة لغرس ثقافة الإيجابية والتحدي والصمود وينادى بها زادًا معنويًا يقوى به الإنسان ذاته، ويطمئن به خاطره، ويسعد به نفسه، وتبتهج به الحياة في عينه، وناظره، وفى شعوره وإحساسه، فيسير فيها بخطى حثيثة، ويقبل عليها في سعى متواصل، نحو بلوغ المقصد المحمود الذى ينشده، فيعتبر التحدي والصمود، طاقة متفجرة في الإنسان، وقوة متجددة في فكره وشعوره باستمرار، محركة لإرادته وتوجهاته في حياته الشخصية والاجتماعية، وهى لذلك أساس متين، وركن ركين تبتنى عليها حياة الإنسان، حتى لا يحل محله التشاؤم والانقباض، وحتى لا يجد اليأس والقنوط إلى النفس سبيلًا.

كما يغرس في الطفل ثقافة التضحية من أجل الغير، باعتبارها هدفًا نبيلًا، يبتغى من ورائه تحقيق السعادة لأقرب الناس إلى قلبه؛ حيث تواصل "أماني" عملها المضنى الشاق بالرغم من المعاملة القاسية التي تتلقاها من المارة، لتأتى بالدواء لوالدتها المريضة.

"**المرأة:** لا مكان لكم بيننا

أنتم مصدر خوف لنا

وكأنكم جرذان هائمة في ظلمة حالكة

أماني: أرجوك سيدتي

المرأة: وكأنكم القطط المتسللة ليلا بين الحاويات

أماني: أرجوك سيدتي

المرأة: وكأنّكم كلاب سائبة بين الأرصفة

أماني: كفّي سيدتي ولا تشتري منّي كبريتا

المرأة: عودوا إلى دياركم

ودعونا سالمين واتركوا هذه البلدة"[48]

لم تفتر عزيمة "أماني" ليؤكد العرض من خلالها على ثنائية الحلم/ الصبر كمعنيين، وقيمتين لا غنى عنهما لمواجهة الشدائد والأزمات؛ فالصبر يشع نورًا عاصمًا لنا من التخبط، ويهدينا إلى الوقاية من القنوط، فنبنى عليه الأحلام، وتوطن أنفسنا على احتمال المكاره دون ضجر، وانتظار الفرج مهمًا بعد، فبالصبر نواجه الأعباء مهما ثقلت، ولا نرتاب لغيمة تظهر في الأفق، ولو تبعتها أخرى وأخرى، بل نبق موقنين بأن بوادر الصفو لابد آتية، وأن من الحكمة انتظارها في سكون ويقين ولحين أن تأتى علينا أن نحلم لنواجه الأحداث ببصيرة مستنيرة واستعداد كامل. وتذكر (آن أوبر سفيلد) أنه في عالم الأحلام "يقوم الحلم بشكل ما بتحقيق رغبات النائم".[49]

وتبدو قيمة الصبر والجلد والتحمل ومواجهة غول الفقر من أجل مرض أمها.

أماني: أنا ابنة هذه البلدة

ومرض أمي أخرجني ليلا

والفقر جعلني أعتاد البرد القارس[50]

في المشهد الرابع نشاهد أماني على المقعد العمومي جالسة تفكر تنظر يمينًا وشمالًا لعلها ترى بعض المارة تنظر إلى علب الكبريت نشاهد على ملامحها أنها تحاول مقاومة البرد تغير في جلستها تقف تذهب إلى آخر خشبة المسرح تعود تجلس وتقول:

"**أماني:** ابتسم أيها الحظ ابتسم هذه الليلة كن معي نفتح الأبواب لسنة جديدة أيها الحظ ما بك هذه الليلة لم أبع شيئا، ولا علبة أراك هناك في تلك المنازل أين النور والمدفئة أراك هناك خلف النّوافذ أين تعلو الضّحكات وتقدّم الهدايا وتأكل المرطبات، البرد أصبح لا يحتمل أريد قليلًا من الدفء سأشعل عودًا من الكبريت.[51]

تشعل أماني عود كبريت، نرى وميضًا شديدًا من الضوء، الإضاءة تتغيّر، يتراءى لنا خلف أماني طاولة كبيرة وعليها نشاهد مجموعة من العرائس من بينها ديك رومي تنبهر أماني بما ترى، وتقترب من الطاولة.

"**أماني:** إنهم يحتفلون إنها المأكولات

ديك رومي، يبدو أنه لذيذ.[52]

ويعتبر "يونسكو" الحلم حدثًا دراميًا أساسيًا وذلك في نظر المشتغلين بالمسرح، بل يرى أن الحلم هو الدراما نفسها، إذ يجد المرء فيه نفسه دائمًا في موقف ما، إذ يقول الحقيقة في أحلامنا وفي المخيلة.[53]

ويبدأ المشهد الخامس على إيقاعات موسيقية ومع تواصل سقوط الثلوج تتراءى صورة أماني بائعة الكبريت على المقعد العمومي تقاوم البرد وهي تحاول إشعال عود كبريت آخر، نشاهد من جديد ضوءًا شديدًا وتتراءى لنا صورة جدتها المتوفاة، تنظر إليها أماني في اندهاش، تحاول الاقتراب منها.

"أماني: اشتقت إليك جدتي

وصوتك العذب يدغدغ أذني

ويرسم قصصًا غريبة عن أمراء وسلاطين"[54]

وهنا نجد إشارة واضحة إلى تراث الجدة الحكاءة التي كانت لزمن طويل مصدرا نلتمس منه التعرف بقصص القدماء وأساطيرهم ما كان منها واقعيًا أو خيالياً.

وتختفي الجدة، وتبدأ "أماني" في متابعة إشعال ثقاب الكبريت واحدة تلو الأخرى للحفاظ على رؤية جدتها على قيد الحياة، كانت تعلم ان أعواد الكبريت ستنطفئ، وسينطفئ معه كل الآمال والأحلام التي دارت مع إضاءات الكبريت، لكن مع آخر ضوء للكبريت، رأت جدتها تقترب إليها وتحتضنها بين ذراعيها وتأخذها إلى السماء معها.

"**الجدة:** وردتي الصغيرة

أماني: لا تبتعدي يا جدة

الجدة: أنا في انتظارك

أماني: أريد أن أمضي معك

سئمت هذه الشّوارع

كرهت هذه الظلمة

أخافها هذه المدينة جدتي

الجدة: هيّا، هات تلك اليد الصّغيرة

هيا لنحلّق في السّماء".(55)

نشاهد أماني تمسك يد جدتها وتمضي معها إلى السماء على إيقاعات موسيقية، تتلاشى الإضاءة تدريجيًا وفى المشهد الأخير نجد أماني ملقاة على المقعد العمومي وقد فقدت الحياة.

"**المارة 1:** مسكينة هذه البنية

المارة2: جسدها الصغير لم يتحمل البرد

المارة 3: لقد ودعت هذه الدنيا مع حلول السنة الجديدة

المارة 4: لقد ماتت وانتهى الأمر.(56)

غير الكاتب التونسي "حاتم مرعوب" تلك النهاية المأساوية، التي لا تتناسب مع طبيعة الطفل المتلقي واستيعابه وتقبله للنهايات الصادمة، التي لا تتفق مع براءته وروحه الطفولية المرحة، حيث؛ إن عالم الطفل يتصف بالنقاء، وينبغي أن يشيع فيه السرور والمرح والبهجة، ومن هنا نفاجأ باستيقاظ "أماني" لتضع نهاية جديدة للقصة.

"**أماني:** أنا لن أكون بائعة كبريت أخرى لن أرضى بهذه النهاية تقولون ماتت وانتهى الأمر
وكأن شيئا لم يكن".[57]

إن المشاهد السابقة عبارة عن سلسلة متتابعة من اللحظات المتصاعدة، حيث تتوالى سلسلة من القيم الدرامية ما بين الحلم واليقظة، وما بين الخيال والواقع، مما يخلق مستويين في الطرح هما المستوى الواقعي والمستوى الرمزي، "فعادة ما يأتي مشهد واقعى تتلوه سلسلة من الأحلام التي تغوص فيها البطلة وتلك سمة أساسية من سمات الدراما التعبيرية".[58]

فالمسرحية التعبيرية تشتمل على شخصية رئيسة واحدة، تعانى أزمة روحية، أو ذهنية أو نفسية، على أن نرى البيئة والناس في المسرحية، خلال نظرة تلك الشخصية الرئيسة إليها، ويترجمها المؤلف، ويعبر عنها بوسائل مسرحية رمزية، ويستعين المؤلف بعلم النفس في أحيان كثيرة، ليبلور مأساة الشخصية الداخلية".[59]

فنجد توحد الكاتب مع الشخصية المحورية في العمل، هذه الشخصية هي الغريب، الذى يعانى خلال رحلته كل أنواع العذاب النفسي، ليصل إلى خلاصه الروحي، أما الشخصيات الأخرى، فهي مجرد تجسيد لصراعات البطل النفسية، وليس لها وجود منفرد محدد.

ونجد مسرحية "بائعة الكبريت" تتمحور حول شخصية (أماني) الفتاة التي تعاني أزمة اضطهاد لطفولتها من المجتمع، دون مراعاة لنفسيتها ومشاعرها بوصفها طفلة تحتاج إلى الرعاية والاهتمام، الأمر الذي يوقعها في حالة من الحيرة والتخبط ما بين حبها الغريزي لأمها ومحاولة مساعدتها وحالة العوز والفقر من ناحية ومن الناحية الأخرى حاجتها – كطفلة– للشعور بالأمن والأمان، ولهذا فهي تبدأ في البحث عن حل، ولا تجد سوى الهروب من واقعها المرير ومحاولة تغير تلك الظروف فتهرب في بداية الأمر إلى عوالمها الذاتية إلى عالم الأحلام.

كما يتناول المخرج رحلة (أماني) مستعينًا بعلم النفس في تفسيره للشخصية وتجسيده لمعاناتها حيث دارت الأحداث ما بين الواقع واللاوعي وعالم الحلم الذي جنحت إليه (أماني) بدخولها في الحلم هاربة من واقعها المرفوض إلى عوالم افتراضية

نسجت شخوصها ومكوناتها ممن حولها في واقعها، لكن بمنظورها الخاص ورؤيتها، التي عبرت عنها خلال رحلتها في عقلها الباطن.

فبعد إفاقة "أماني" تبدأ المجموعة بنزع ملابس الشخصيات ويعودون إلى طبيعتهم الأولى كأطفال شوارع، إن الكاتب هنا يكرس لمفهوم التعايش السلمي، والثبات على المبادئ والتمسك بها، والأمل، مع تقبل الآخرين، انطلاقًا من مبدأ ما خاب من استشار وهذا واضح في الحوار النهائي الذي دار بين "أماني" وأصدقائها.

"**ميسون:** لا لن نرضى بهذه النهاية

مايا: لن تموت هذه الطفلة الصغيرة

سمور: أي ذنب اقترفت كي تموت

بويا: لازال لديها بعض الأحلام

ميسون: أمانينا لن تموت

أماني: نعم هناك أمل في الأفق

مايا: هناك حلم جديد

سمور: نحن نحب الحياة

بويا : سنرسم الأحلام

ميسون: وسنغير هذا الواقع

مايا : لن نسكت

أماني: غدا سيكون أفضل

مسون : نحن أطفال هذه المدينة.

بويا: نحن وأنتم سنقول.

الجميع: لن نكون بائعة كبريت أخرى بل سنغنى للحياة".(60)

انتهى النص المسرحي بحل مثالي تربوي وخلقي وهو عدم الاستسلام والإصرار والعزيمة حتى الوصول إلى الهدف والمغزى من الحياة، إن الكاتب يأخذ الطفل من خلال هذا النص إلى عالم من الخيال والتصوير ليتركه يسرح في مفرداته متصورًا ما قد يحدث في نهاية العمل المسرحي، فهو يعد من الأعمال المسرحية التي تعمل على توسيع مدارك الطفل كما تعمل على خلق نمط فني يرقى إلى سمو الذات لدى الطفل

وينمي لديه مشاعر التمسك بالكرامة وعدم الاعتداء ونبذ حب الذات على حساب الآخر، فقد جاء هذا النص لينمي القيم العليا لدى الأطفال، ومن هنا نجد أن مسرح الطفل له بصمات واضحة في تربية الطفل وتنشئته على القيم والأخلاق الحميدة.

ثانيًا: عناصر العرض في مسرحية بائعة الكبريت:

إن العرض المسرحي (بائعة الكبريت) يدفعنا إلى القول بأن الكلمة المنطوقة في العرض المسرحي ليست أهم عناصره، فهذا العرض يؤكد على إمكانات اللغات غير الكلامية داخل الفراغ المسرحي؛ ذلك أن الصورة المرئية تصل إلى حواس المتلقي وخياله ومشاعره، كما أن الإيقاع والمؤثرات تغذي روحه بالرؤى والأفكار والاتجاهات بغير الحاجة إلى لغة كلامية.

ولقد وظف المخرج في مسرحية (بائعة الكبريت) جميع عناصر العرض التشكيلية المرئية من ديكور، وألوان، وإكسسوارات وإضاءة وملابس، وغيرها، لإبراز القيم التربوية والاجتماعية، وبشكل يتوافق مع ثقافة الطفل المتلقي.

الديكور:

لقد شكل الديكور واحدًا من مفردات هذا العرض، والعمود الفقري لتشكيل فراغ المسرح، وذلك بالرغم من اعتماد المخرج على تكنيك المسرح العاري والموتيفات التشكيلية البسيطة للإيحاء بطبيعة المكان، مما سهل عملية تقسيم العرض إلى لوحات ومشاهد أو مناظر يفصل بينها إظلام المسرح، فقد وظف المخرج أربعة مقاعد خشبية مع الأطفال الأربعة وكون من خلالها العديد من التشكيلات البصرية التي عبرت عن حالة البؤس والشقاء كما أن معظم الأحداث تدور في شارع والمكان المفتوح غير المحدد لا يوحى بأي طمأنينة أو أمان، مما يتلاءم مع طبيعة الفكرة المطروحة حول أطفال الشوارع، كما زادت أعمدة الإنارة المتناثرة في جميع الأركان من مصداقية المشهد وقوة تعبيره (شكل1). وقد قسم المخرج خشبة المسرح إلى مستويين رأسيين المستوى السفلى جسد من خلاله واقع "أماني" المرير ومعاناتها في ظل الجو الممطر القاسي، أما المستوى الأعلى فقد مثل الحلم وغلب على مفرداته اللون الأبيض (شكل2).

الإكسسوارات / الملحقات:

لعبت دورًا مهمًا في تأكيد المعنى وقد كانت أعواد الثقاب التي تشعلها "أماني" بين الحين والآخر، علامة تشكيلية فارقة، بوصفها إشارة البدء للدخول في عالم الأحلام، فعندما تشعل أماني عود كبريت، نرى وميضًا شديدًا من الضوء، الإضاءة تتغير، يتراءى لنا خلف أماني طاولة كبيرة وعليها نشاهد مجموعة من العرائس من بينها ديك رومي، تنبهر أماني بما ترى، وتقترب من الطاولة.

كما كانت للإكسسوارات وظيفة في إضفاء نوع من المصداقية على الحدث الدرامي، ذلك الدور الذي لعبته مجموعة المظلات والصحف التي يبتاعها أطفال الشوارع (شكل3).

إن المظلات، الجرائد، ثقاب أو أعواد الكبريت لكل منها دلالات فنية وجمالية فالأطفال يقومون ببيعها في ليلة رأس السنة فهو يوم عيد بالنسبة لهم، لكنهم محرومون من اللهو والفرح بهذا العيد بحثًا عن لقمة العيش، إن وجود الفوارق الطبقية جعلت من هؤلاء الأطفال يبحثون عن لقمة العيش الحلال، رغم نظرة المجتمع الساخطة عليهم.

الإضاءة:

لقد استطاعت الإضاءة أن تجسد لنا حالات نفسية معينة من خلال ألوانها الضوئية المختلفة، الممزوجة منها والصريحة ومن خلال الدرجات المتفاوتة بين السطوع الباهر للعين في مشاهد الحلم والضوء الخافت الباهت للدلالة على حالة الحزن وقتامة الأحداث في مشاهد الواقع البائس الذى تعيشه "أماني"، لقد استطاع الضوء في هذا العرض أن يقول لنا أن أملًا ما أخذ ينمو في باطن الشخصية، بتأكيده على مراحل تطورها وتقلباتها المستمرة بين عالم الواقع والخيال.

وقد ساهمت الإضاءة بآليات استخدامها المدروسة بدقة وعناية في الإضفاء لأجواء فيها الإبهار والجمالية اللافتة، وقد وظفت بطريقة متميزة، وأتت في مكانها المناسب الذى توافق بامتياز مع أحداث المسرحية، والتي تتابعت لوحاتها بشكل سلس وعفوي، كما لعبت الإضاءة دورًا وظيفيًا للفصل بين اللوحات، حيث كان يفصل بينها لحظات من الإظلام، أو تتدرج الإضاءة بين إظلام ونور للدلالة على انتهاء مشهد وبداية مشهد آخر (شكل4).

كما استخدم المخرج التأكيد من خلال الإضاءة، وذلك بزيادة كمية الضوء الأبيض أو الملون على الشخصية أو المفردة التشكيلية، التي تحتل مركز السيادة في المشهد المسرحي مثل (أماني – الأم المريضة– منضدة الطعام – الجدة... إلخ) مع تقليل أهمية بقية العناصر المتواجدة بتقليل كمية الضوء عليهم، كما وظف البؤر الضوئية بشكل تعبيري دلالي ليوحي بعزلة أماني وشعورها الداخلي بالوحدة.

الموسيقى والمؤثرات الصوتية:

ساهمت المؤثرات الصوتية في دعم الصورة الإيقاعية للعرض، بل ومنحته قدرة على المحاكاة الحقيقية من خلال إضفاء نوع من المصداقية على الأحداث، وإثارتها لخيال المتلقي فمثلًا خاطبت أصوات الرعد والعواصف مشاعر المشاهدين، الذين شاهدوا "أماني" ملقاة في حضن الثلج مع قطع الثلج المتساقطة من أعلى السوفيتا، والتي تتلاقى مع الإضاءات المتقطعة التي توحى بالبرق، مما ساهم في اكتمال المشهد تعبيريًا من خلال التوظيف الجيد للتقنيات الصوتية والبصرية (شكل5).

وعلى إيقاعات موسيقية يقوم " الديك" ببعض الحركات وكأنه في رقصة إغراء لأماني تنطلق "أماني" في الغناء فرحة غير مصدقة ما تراه عيناها، ينطفئ عود الكبريت وتختفي العرائس وتستفيق "أماني" من حلمها.

الملابس المسرحية:

تعتبر الملابس في هذا العرض من أهم الوسائل البصرية التي توضح وتبلور العلاقات بين الشخصيات، وقد التزم مصمم الملابس بمفهوم الشخصية المسرحية بوصفها مجموعة من العلامات، لذلك جاءت الملابس دالة على من يرتديها من ناحية الجنس والوضع الاجتماعي والنفسي أيضًا، فملابس أماني وأصدقائها من أطفال الشوارع، مصنوعة من خامة فقيرة، لونها "بنى" بكل ما يحمله هذا اللون من معانى البرودة، معبرة عن الحالة النفسية للشخصيات كما أنها مناسبة لفصل الشتاء (شكل6)، في حين حملت ملابس المرأة التي نهرتها علامات الثراء والأبهة، كما جاءت ملابس الجدة بيضاء فضفاضة، تتلاءم مع ثقافة الطفل وتخيله للشخصية الآتية من العالم الآخر.

لقد جاءت مفردات العرض التشكيلية من ديكور وإكسسوارات وملابس وإضاءة متوافقة مع ثقافة الطفل المتلقي ووعيه بتلك الفئة المهمشة من الأطفال، كما رسخت المسرحية في نفوس الأطفال ثقافة تحدى الصعاب ومواجهة المشكلات بالصبر والحلم.

خاتمة البحث:

تعرض البحث للقيم التربوية وتوظيفها في مسرح الطفل، كما أظهر عدم إغفال مؤلفي المسرح الموجه للطفل ومخرجيه غرس القيم التربوية والاجتماعية والتثقيفية لتحقيق أهداف ذلك المسرح وغاياته النبيلة، وقد وقع اختيار الدراسة على مسرحية (بائعة الكبريت) للمخرج المؤلف التونسي (حاتم مرعوب) وذلك لما تحتوي عليه من قيم تربوية فضلًا عن مشاهدة الباحثة لتلك المسرحية في مهرجان مسرح الطفل للثقافة والفن بسلطنة عمان عام 2016، والتي اهتم فيها بإعلاء تلك القيم؛ لتحقيق أهداف التنشئة الاجتماعية، والجمع بين فنون متنوعة سمعية و بصرية في عرض مسرحي واحد لإبراز ما تضمنه من قيم تربوية، فإذا كان النص ينتمي للأدب والعرض ينتمي للفن فبذلك يكون العرض المسرحي هو المتمم للنص وقد جاء التكامل بين نص بائعة الكبريت والعرض لصالح تلك القيم وإبرازها، وقد استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لطبيعة الدراسة.

نتائج البحث:

- أثبت البحث أن النص المسرحي " بائعة الكبريت" باعتباره لغة كلامية قد تناول قيمًا تربوية يمكن أن تساهم في تنشئة الطفل تنشئة سليمة، مثل (قيمة حب العمل،،التضحية، التعاون، الأمل، التشبث بالهدف.....)، وهى قيم بلا شك إن تمسك بها الطفل فإنها سوف تساهم في خلق جيل قادر على مواجهة الحياة، كما عمل على إثارة خيال الأطفال، ودفعهم إلى إلقاء الأسئلة والبحث عن المعلومات، كما عمل على إشباع رغباتهم في البحث والمعرفة، عن طريق ما يقدمه لهم من معلومات وخبرات متنوعة.
- أوضحت الدراسة أن من أهم السمات التي يجب أن تتصف بها النصوص المسرحية لتناسب طبيعة الطفل أن تحتوي على مغزى تربوي ولغة مسرحية سهلة وفكرة واضحة وجمل مناسبة الطول بعيدة عن الغموض والتعقيد، حتى

تنفذ إلى ذهنه بيسر؛ دون أن تبعث إلى نفسه الملل أو تدفعه إلى الشرود الذهني؛ حتى يستطيع استيعابها والتفاعل معها.

- يلعب العرض المسرحي من خلال عناصره المختلفة ولغات خشبة المسرح السمعية والبصرية دورًا مهمًا في إبراز ما يحويه النص من قيم، ويعمل على إيصالها للطفل بشكل أيسر؛ ذلك أن الطفل مولع بالمناظر البصرية، فهو يتعلم عن طريق الرؤية أفضل مما يتعلم عن طريق التلقين، وخير دليل على ذلك عرض" بائعة الكبريت"؛ حيث اهتم العرض بتسليط الضوء على القيم التربوية في النص وعبر عنها بوسائل متنوعة من خلال (الديكور، الاكسسوار والملحقات، المؤثرات السمعية والموسيقية.....).
- أسهمت اللغات غير الكلامية السمعية منها والبصرية في إبراز القيم التربوية للطفل وتسليط الضوء عليها وهو ما تفاعل معها الأطفال، مما يثبت أن الطفل يتعلم بالخبرة والنموذج أفضل مما يتعلم عن طريق التلقين.
- أثبت البحث أن للمسرح دورًا بارزًا في تنشئة الطفل وتربيته من خلال ما يحويه من قضايا تربوية وأخلاقية هامة، فهو يساهم بدور فعال في غرس القيم التربوية والخلقية النبيلة مثل قيمة (الحق، الخير، الجمال، التعاون، العمل، نبذ الاتكالية، النجاح....) للأطفال، فمما لا شك فيه أنه يمكننا من خلال التوظيف الجيد لمسرح الطفل أن نؤكد على ما هو مرغوب من قيم دينية وأخلاقية واجتماعية وسلوكية، وذلك من خلال مساعدة الطفل على التمييز بين الصواب والخطأ، وعلى اتباع السلوكيات التي تتوافق مع قيم المجتمع الذي يعيش فيه، فالمسرح مرآة للواقع المعيش الذي تظلله الأبعاد التربوية والخلقية التي تسهم بفاعلية في تنشئة الطفل وتزويده بالمتعة والتسلية التي تعد من أساسيات دورها التربوي، فالمتعة والتسلية والمعرفة الثقافية والتربوية؛ وهي غايات يحاول المؤلف إيصالها للطفل.
- يعد مسرح الطفل واقعًا حياتيًا معاشًا وممارسة فنية وثقافية متخذ من الأبعاد التربوية ما يساعده على أن يكون من قضايا حياة الإنسان والمجتمع.

- أكد البحث على أن مسرح الطفل يعد مظهرًا حضاريًا مهمًا يرتبط بتقدم الأمم والشعوب ورقيها إلى جانب كونه أداة تنوير لنقل القيم والأبعاد التربوية والخلقية وهو جزء من التربية؛ فالتجربة المسرحية تجعل الأطفال أكثر إحساسًا بأفكار الآخرين؛ مما يساعد على التقدم المستمر واستيعاب مشاكل واقعهم وإيجاد حلول لها.

التوصيات:

1- الاهتمام بالتراث مع إضفاء روح الحداثة والمعاصرة عليه حتى نستطيع إقناع الطفل.

2- الاهتمام بالعروض المسرحية التي تحمل مضمونًا تربويًا وأخلاقيًا خاص بالطفل.

3- الإفادة من النصوص والعروض المسرحية الأجنبية بما يتوافق مع قيم وأخلاق المجتمع.

4- تسجيل وتبادل العروض المسرحية من خلال الهيئات والدور المسئولة عن عروض مسرح الطفل في الوطن العربي، ووجود موقع إلكتروني لها، يمكن للطفل مشاهدتها.

5- على كتاب المسرح للطفل الاهتمام بالمسرحية الأخلاقية التي تحمل عناصرها الدعوة للقيم والمبادئ السامية، والتحلي بالأخلاق الحميدة، مثل الصدق والأمانة، والشجاعة، والخير، والعدل، ومساعدة الفقير والضعيف والمحتاج، والانتماء للوطن.

6- يجب أن تكون النصوص المسرحية محاكاة للواقع المعيش مع إعطاء فرصة للتخيل وإمعان العقل.

7- الاهتمام بأدباء الطفل وتشجيعهم وحثهم على الكتابة للطفل، ولكن قبل الشروع في الكتابة عليهم أولًا الإلمام بمراحل الطفولة ودراسة علم نفس الطفل.

ملحق الصور

شكل (1)

شكل (2)

شكل (3)

شكل (4)

شكل (5)

شكل (6)

المراجع

(1) Hild Health Promotion Research Centre, ECUTheatre in Education –A literature review9.

(2) شوق عباده النكلاوي "التشكيل في الفضاء المسرحي ودوره في تكوين ثقافة الطفل العربي، دراسة تحليلية" (رسالة دكتوراة، كلية التربية للطفولة المبكرة، جامعة دمنهور، 2018) ص 11.

(3) عادل حسن عبد الرحمن" القيم التربوية لإدارة الوقت في حياة الإنسان المسلم" (رسالة ماجستير، جامعة السودان، 2008) ص 3.

(4) أحمد سويلم " القيم في المغرب.. أزمة مدرسة أم أزمة مجتمع؟" (مجلة الطفولة والتنمية، ع 37، 2020) ص 65.

(5) فوزية ذياب " القيم والعادات الاجتماعية" (دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980) ص 26.

(6) نمارك محمد الأمين " دور المسرح في تعزيز القيم التربوية في مقرر اللغة العربية لتلاميذ مرحلة أساسي" (رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، 2018) ص32.

(7) أحمد سوالم " القيم في المغرب.. أزمة مدرسة أم أزمة مجتمع؟" (مجلة الطفولة والتنمية، ع 37، 2020) ص 67.

(8) أماني أحمد غنيم" المضامين التربوية في رواية" ثمانون عاما بحثا عن مخرج" في ضؤ الدور التربوي لأدب الأطفال "(ماجستير غير منشور في أصول التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، 2007) ص74.

(9) نفسه

(10) سمية سليمان عثمان العجرمي "دراسة تحليلية للقيم المتضمنة في كتب التربية الإسلامية الاجتماعية وحقوق الإنسان للصف الرابع الأساسي بفلسطين" (ماجستير غير منشور، جامعة الأزهر، غزة، كلية التربية قسم المناهج وطرق التدريس، 2012) ص21.

(11) المرجع السابق، ص18.

(12) ثناء الضبع"" تعلم المفاهيم اللغوية والدينية لدى الأطفال" (دار الفكر العربي للطباعة والنشر،2008) ص39.

(13) إخلاص حسن عشيرة "الذكاء القيمي الأخلاقي وعلاقته بتنمية الذكاءات المتعة للأطفال (مجلة الطفولة والتنمية، ع36،2019) ص20.

(14) ثناء الضبع وناصر غبيش " تنمية المفاهيم الدينية والخلقية والاجتماعية لدى الأطفال" (دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011) ص 103.

(15) محمد عبد المعطي، مرجع سابق ذكره، ص 269

(16) صالح محمد أبو جادو " سيكولوجية التنشئة الاجتماعية، دار ميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2015) ص124-125.

(17) الحموري وآخرون "القصة التاريخية في أدب الطفل جريدة الوطن،2015" ص257.

(18) أرسطو طاليس" فن الشعر" (دار الثقافة، بيروت، 1973) ص12.

(19) حبيب ظاهر حبيب" التشفير الصوري في مسرح الطفل" (رسالة دكتوراة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، 2004) ص 113.

(20) هدى محمود الناشف " تصميم البرامج التعليمية لأطفال ما قبل المدرسة"، (دار الكتاب، القاهرة،2003) ص166.

(21) أبو الحسن سلام "مسرح الطفل" ((النظرية- مصادر الثقافة- فنون النص- فنون العرض)، (دار المعرفة الوفاء لدنيا الطباعة والنشر 2003) ص41.

(22) يعقوب الشاروني" فن الكتابة لمسرح الطفل"، (القاهرة،، وزاره الثقافة مطبوعات المسرح المتجول"، العدد الثاني، 1993) ص136.

(23) سمر روحي الفيصل "أدب الأطفال وثقافتهم، قراءة نقدية"" (دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2007) ص32.

(24) موسى كولد برج "مسرح الأطفال فلسفة ومنهج" ت : صفاء رومانى – (دمشق منشورات وزارة الثقافة 1997) ص 160.

(25) هيثم يحي الخواجة " المركبة المزيفة" (مبادرة ألف واحد عنوان، الشارقة، الإمارات، 2017).

(26) محمد عبد المعطي "مسرح الطفل المعاصر بين االتربوية الجمالية" (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة 2018) ص 268.

(27) فهيم نعيم "الطفل والخدمات الثقافية" (مكتبة الدار العربية للكتاب، 2008) ص 119.

(28) هادى نعمان الهيتى "أدب الأطفال" (القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986) ص 205.

(29) إيمان العربى "القيم التربوية في مسرح الطفل " (الإسكندرية. دار المعرفة الجامعية 2002 ص 98، وانظر في: فؤاد دواره " مسرح الأطفال ودوره في تنمية شخصياتهم "مجلة الفنون ع7" الاتحاد العام لنقابات المهن الموسيقية و الفنية. السنة الأولى أبريل 1980) ص32، وانظر في: مالك نعمة المالكى "خصائص مسرح الطفل وارتباطه بالعملية التربوية" (بغداد. الكرخ. ع 26 2014) ص 45.

(30) هيثم الخواجة " عودة ورد، (نسخة مخطوطة من الكاتب، 2020)

(31) كمال الدين حسين" مدخل في أدب الطفل" (دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006) ص 84.

(32) نجلاء نصر بشوري "أدب الأطفال العرب" (مركز دراسات الوحدة العربية، أوراق عربية، عدد 31، 2012) ص11–13.

(33) راندا حلمي السعيد "التكوين المعرفي في مسرح الطفل" (كلية التربية، جامعة الإسكندرية، يناير، 2017) ص115.

(34) راندا حلمي السعيد" العبيرية وتأثيراتها في طرح القضايا الموجهة في المسرح خلال تقنيات المسرح الشامل– رحلة نور نموذجًا" (مجلة كلية التربية النوعية، جامعة المنوفية، مج15،ع 2017,24) ص 150

(35) هيثم يحي الخواجة " مسرح سلطان بن محمد القاسمي" (اتحاد كتاب وأدباء الإمارات 1، 2015) ص 55.

(36) سحر عبد العزيز سالم "المسرح العربى المعاصر ودوره في ربط الماضى بالحاضر" المؤتمر الدولى الأول (قسم المسرح – كلية الآداب – جامعة الإسكندرية 31 مارس 1996) ص 71.

(37) محمد العناني " الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق"، (دار نون للطباعة، القاهرة،، 2003)، ص 95.

(38) آسيه بودرع " أدب الطفل التفاعلي" (الخليج العربي، تطوان، 2019) ص118–119.

(39) هانس كريستان أندرسون " حكايات أندرسون" (الدار المصرية اللبنانية، ت توفيق علي منصور، القاهرة، 2005) ص 304.

(40) حاتم مرعوب " نص بائعة الكبريت" نسخة مخطوطة من المؤلف عام 2016.

(41) نفسه.

(42) نفسه.

(43) نفسه.

(44) نفسه.

(45) نفسه.

(46) نفسه.

(47) نفسه.

(48) نفسه.

(49) آن أوبرسفيلد " قراءة المسرح" ت: مي التلمساني (القاهرة، وزارة الثقافة، 1994) ص 49.

(50) حاتم مرعوب، سبق ذكره.

(51) نفسه.

(52) نفسه.

(53) مقتبس من: سامية أسعد" في الأدب الفرنسي المعاصر" (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1976) ص27.

(54) حاتم مرعوب، سبق ذكره.

(55) نفسه.

(56) نفسه.

(57) نفسه.

(58) انظر: الإدريس نيكولا "المسرحية العالمية، الجزء الخامس، ترجمة شوقي خميس (هلا للنشر والتوزيع، الجيزة، 2000) ص 61.

(59) انظر راندا حلمي ، سبق ذكره ،2017

(60) حاتم مرعوب، سابق ذكره.